

الحياة مسرحية!



أيُّ حياةٍ هذه التي تُشكل أعمارنا، وأنسى للخُطى بكتابة إنسانيتنا؟!

حقيقة ما جعلني أكتب هذه السطور ما اختزلته المعاني، وسطرته الأمانى،

فيما أُشاهده، وتُشاهده، ونُشاهده كلَّ يومٍ في الأفراح والأفراح..

فخذ ما شئت، واكتسب حياة الرجال، وسباق الخصال، وفحوى المآل لنيل النوال..

فكم قيمة نحن عشناها، وكم روحاً نحن فقدناها؟!

فاترك الأثر واطلب الأجر من كلِّ أبٍّ خلف المكارم،

وشدَّ الحيارم لمثقال الكاهل، ومقياس النواقل.

على كلِّ حالٍ، أعمالنا قد شكلتها الطنون، وغنتها الفتون..

وأَيُّ مسرحيةٍ نحن زُمثِّل فيها؟!

ومَن كتب أحداثها؟!

ومَن أخرجها؛ ومَن وضع المؤثرات خلف وصوتها؛

ومَن أثخن خارطتها وتعابيرها على تضاريس الجمهور؟!

أجل، الجمهور هو ذاته من صفق لنهاية القهقهة،

وكذلك هو مَن أظهر تعابير الملامح لطُرُقَات تجاعيد وجوهنا،

وكيف للدموع حساب كُنْهها في أروقة المقابر؟!

هنا من خلف أهله بين عشية وضحاها ، وكلّ آمله أن يستنهض فينا معرفة الأجر — مع الأسف — ولكن دون جدوى!

نعم ، الأحاسيس ماتت ، والتعابير فاتت ..

فكلّ امرئ يتقلّب على صفيح الرّسّ فاة ، وهو يكيل بأكثر من مكيالٍ لمصلحةٍ هو جانيها ،

أو لكذبة هو ساقياها .. فلتنثني سنوننا بالمكاره ، وستبقى أعوادنا كشجر الأثل يابسة ..

قد هجرتها مياه الرّسّ حل ، والظل باقٍ بسموم الظهيرة بين كُنّا وكانوا!

يموتون أحبّتنا ، ولم نعرف قيمتهم إلّا بخطّاف المنون ، ونجوى الحثوم بين دموعٍ مصطنعة ..

وكي لا تقول ألسنة الأفواه ، وينأرجح النواح على مجامر الفواح!

أم لتلك المجالس التي شكّلها اسم الأخوة بالمصّور ،

وحقيقة الأمر الكلّ منّا ينهش لحم الآخر بجهلٍ مُقنعٍ ، أو لإرثٍ مُتوقعٍ !

وكيف لنا أن نقف بطلب التوبة من عارف الشواهد، ومُسجل الشوارد؟!

هذا من جانبٍ..

فكيف نحسب دُموع الأيتام؛

ونوائح الرهام؛ ومعنى الظلام لأفعالنا العظام؟

.. ليتشكل قمع المُناسبة والشواهد في رغيغ الختام لشاعر الوطن والنخيل جاسم الصحيح:

«بعضي تبرُّأ من بعضي مكابرة»

يا جاسم الروح شيَّع جاسم الطين»!